كل كلمة كان الشيخ يلقيها غير ان فريد وكان لم يعتد على ترويض فكره على مثل هذه المباحث قد استفزّه الفرح وأخذ يقبل نجيبا شاكراً له استصحابه معه وتقديمه الى الشيخ ثم قام الى الشيخ يصافحه مظهراً له أغتباطه بما سمع منه راجيا أن يسمح له بالعودة اليه ثانيا فأجابه الشيخ اذا كانت هذه المسائل مما ترتاح اليها وتعرف من نفسك القدرة على فهمها فعلى الرحب والسعة والآن فالى الملتقى بالغد

— الفصل الخامس —

(العوامل المساعدة على التكوين هي نفسها)
(المساعدة على التحويل في ظروف أخرى)

ذهب الشيخ فى حال سبيله كالمعتاد وقفل صاحبانا نجيب وفريد راجعين الى المدينة يتحادثان بما سمعاه ويضربان الامثال ويقيمان الشواهد ويطبقانها على الواقع وقد انفتح أمامهما باب واسع من هذا المبحث ولاغرو فحياة كل واحد منهما فى جميع مظاهرها ودقائقها وما عاياه وعانياه هي مصداق لقول الشيخ

وفي اليوم التالي حضر الجميع في الميعاد وبعد التحية والسلام ومبادلة بعض الحديث قال نجيب للشيخ . عسى شيخنا أن يمن عليّ بما طلبت ايضاحه البارحة فاني قضيت ثلاثة ارباع الليلة قلقا افكر في هذا لعلي اجد له حلا توتاح اليه نفسي ولكن فهمي عجز عن أرشادي الى ما يقنعني لما بدا لي من بعض المتناقضات فاجابه الشيخ لبيك يا صاح فها أنا مبد لك على سؤالك من البيان ما ارجو ان يبرهن لك على حقيقة الواقع ويقنعك كل الاقناع وهم باستطراد الكلام فقاطعه فريد قائلا عفوا يا شيخ اذا قطعت عليك الحديث بسرد واقعة لها علاقة بمسئلة الامس كما اني ارجو من صديقي نجيب ان لا يؤاخذني على هذا فالحادثة لها علاقة بفريدة وانتما تعلمان الآن ما كان لهذا الاسم علي

لما تركت نجيبا بالامس راجعا الى منزلي فظننت لحاجة كنت نسيتها عند بعض المعارف فقصدته لاخذها وبينما أنا سائر اذ ابصرت بفريدة مع الشاب الذي رأيتها معه بالزورق سائرين الهوينا يتهاديان في مشيتهما كما كنت انا أسير معها من قبل فشعرت أولا بانفعال شديد لم يلبث أن تحول الى

غضب وحقد ثم الى ازدراء واحتقار ثم الى عدم مبالاة كأن تلك العاطفة التي ثارت في أول أمس قد ماتت أو كأنها لم تكن البتة فاقتربت منها وحييتها بكل هدوء وسكون وعاودت المسير ولكنها لم تكد تسمع صوتي ويتقابل النظران حتى رأيتها وقد امتقع لونها وترنحت كالسكران ونفرت من صاحبها ونادت بسائق احدى العربات فصعدت اليها ولم تسمح لصاحبها بالاقتراب منها ووضعت وجهها بين كفيها واخذت تبكي وسارت العربة بها فبهت صاحبها من هذا المنظر كمن لم يعلم له سببا. اما أنا فقد وقفت بعيدا اراقب ما جرى دون ان أشعر بتأثير يذكر كأن فريدة لم تكن لديّ سوى أية امرأة أو اي انسان آخر وتابعت المسير كان لم يكن شيء مما كان وها أنا الان اسرد عليكما هذه الحادثه وكأنها ليست لي مع فريده بل كأنها قصة قرأتها في بعض الكتب أو سمعتها من بعض الرواة وقلت لقد صدق شيخنا فيما قال لقد دفعت فريدة ثمن سرورها مرارة وبكاء وكما كانت حالتي عند ما رأيتها في الزورق هكذا حالتها كانت في العربة ففكر الشيخ هنيهة محدقا بفريد ثم تبسم كعادته

وقال لقد صدقت فى استنتاجك هذا ولكن لهذه الحادثه عندي الان استنتاجان لا بل لهي برهانان ساطعان على ما قلته لكما بالامس وعلى ما سأقوله الآن فكأن الصدف قد ارادت ثانية ان تساعدني على اقناعكما بما تطلبان من الايضاحات . لقد سألتني بالامس يانجيب بما تعلل اسباب الانقلاب والانحلال والتغيير اذا كانت دائما نواميس التوازن محفوظة والتبادل بالقسط العادل حقيقياً فاجيب بان القوى والعوامل المكنونة أو المساعده على التكوين هي نفسها المحلة او المساعدة على التحويل وذلك باختلاف الظروف وذلك فى حادثة صديقك فريد بالامس برهان جلي على ذلك : احب فريد فريدة حباً تزايد لاسباب شتى وفي ظروف مختلفة لم تصادمه حين نموه موانع التغلب الكافي ولم يكن حب فريدة له شديداً كحبه لها فكانت قوتها السلبية والحالة هذه متغلبة على قوته الايجابية ولم يزل حتى تكامل اول امس حينما شاهد فريدة فى الزورق ولكن عندما رأيت يافريد بالامس مارأيت طفح الكيل وانقلبت الآية واصبح ماكان يزكى قبلا فيك نار الحب يطفئها الان وقد قيل

لكل شيء اذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش انسان

ان العناصر الاربعة الثانوية المكونة المتولدة عن العنصر الاصيل الفرد هي نفسها المحولة اذا تحولت كفة الميزان في احداها فالهواء والماء والنار والتراب التي تنبت النبات وتحيي موات الشجر فيورق ويعطي ثمرة وتقوي الاجسام وتنعش القلوب وتفرح الصدور في الربيع هي نفسها التي تيبس النبات وتسقط الورق وتضعف الاجسام وتقبض الصدور وكما ان الغذاء يغذي الانسان والحيوان وينميه كذلك هو الغذاء الذي يفنيه ويميته والهواء والحرارة اللذان يبخران الماء ويصعدانه في الجو ضبابا هما ذاتهما اللذان يرميان به على الارض والتراب الذي بواسطته تتكون الاجسام وتتغذى هو الذي بواسطته تنحل وتتحول انظرا الى هذه المدينة وما فيها من المباني الحديثة الجميلة المزخرفه وقارناها بتلك المباني القديمة الآيلة الى السقوط ترى أن القوى والعناصر التي ساعدت على تشييد وتكوين الجديد هي نفسها التي ساعدت على سقوط وتخريب واضمحلال هذا القديم وقد كانت القديمة في حينها

جديدة جميلة وسوف تتحول جديدتنا الآن في حينها أيضاً الى قديمة مخربة وهكذا الى أن تندثر تماماً معالم الجميع . أنظرا الى السماء فوقكما ومافيها من الغيوم المختلفة الاشكال وعايناها بعد ذلك وقد صفا أديمها ولم يبق لتلك من أثر ظاهر وانظرا الى ماحواليكما من البقاع والسهول والجبال تريا أن القوى التي أعطتها شكلها الحاضر هي نفسها الكفيلة بتغييرها إلى شكل آخر أنظرا الى هذه الرياض والجنائن المخضرة المثمرة وكيف كان حالها بالأمس وكيف يكون حالها غدا انبتها التراب وسقاها الغيث وأنمتها حرارة الشمس وأزهاها النسيم ولونها النور بالوان تبهر الابصار بجمالها وسوف تحرقها الشمس فتيبس ويذريها الريح ويفسدها الماء ويسلبها النور ما أعطاها من زاهي الالوان ويحولها التراب اليه ويمحي منها الأثر والعين . بل أنظرا الى نفسكما وما طرأ عليكما حتى الآن من الانقلابات والتحولات من الطفولية الى سن الشباب . من صحة ومرض وسمن ونحول وما سيطرأ ايضاً في السنين المقبلة أن نفسياً أو جسدياً تريا أن العوامل هي نفسها واحدة في كل الحالات فقط تغلب عامل على عامل

فحصل التغيير والانقلاب فقال نجيب ليسمح لي شيخنا أن القي سؤالا استوضحه به بعض ما ابهم علي وعلى صديقي فهمه . فقد قلت لنا ياشيخ بمناسبة حادثة فريدة وفريد ان الانقلاب حدث بقوة التحويل السلبي والايجابي وهي حادثة نفيسة روحية واستطردت الكلام الى العناصر الاربع وتكلمت عن التحويل فيها مستندا كما ظهر لنا على المبدأ الاول مع ان الكلام عنها هو عن الماديات المحضه فما دخل الروح في المادة ثم عدت فقلت أن ما طرأ وما سيطرأ علينا من التحولات ان نفسيا أو جسديا هو ناتج عن نفس العوامل دون أن نميّز بين العوامل المؤثرة على النفس والمؤثرة على المادة أو الجسد مع ان لا شبه بين المادة والروح فتنبه الشيخ كمن فطن الى شيء وتبسم وأجاب نعم لقد صدقت في ملاحظتك يا صاح لأنه كان يجب علي زيادة الايضاح في حديثي ولكنك لو ذكرت كلمتي عند استطراد الكلام حيث قلت ان العناصر الاربعة الثانوية المكونة المتولدة عن العنصر الاصيل الفرد لعلمت ان هنالك صلة اصليه بين المادة والروح وعليه أقول لكما ان المادة نفسها التي

يدعونها مادة لوقوعها تحت الحواس بسبب التقلبات والتحولات هي من العنصر الاصيل الفرد المتولدة منه الروح ايضا ففي الجماد والنبات مظهران من العنصر الاصيل الفرد اما في الاحياء فثلاثة المظاهر كما سأبيّن ذلك لكما فيما بعد لذا فان ما تتأثر منه الروح يشعر به الجسم وما يتأثر منه الجسم يعمّ تأثيره الروح فقال فريد والله يا شيخ ان هذا البحث لهو مما يعجز عنه فهمي الآن ولعلّ ماوعدت به من البيان في المستقبل يزيل عن عيني بعض الغشاوة ولقد قال شيخنا فيما قال بمناسبة حادثتي مع فريدة وكيف أن حبي لها تحول الى بغض وحقد واحتقار تلاه عدم مبالاة واهتمام مما فهمت منه حسب قولك ان قوتها السلبية كانت في الاول متغلبة على قوتي الايجابية ثم بفعل الحوادث والظروف وماشاكل انقلبت الآية واصبحت انا المتغلب ثم ان صديقي سأل عن حقيقة التوازن السلبي والايجابي فاجبته بما يؤكد حقيقة التوازن ثم قلت حفظك الله ان التحول يجري اذا تحولت كفة الميزان من جهة لاخرى فبناء على ماتقدم فلا بد للتحول من تغلب السلبي على الايجابي أو الايجابي على السلبي فاذا

تغلب عامل على عامل كان ثم طبعاً زيادة في هذا ونقص في ذاك فاين التوازن مع هذا فنظر الشيخ الى فريد مليا ممتأملا ثم بدت على وجهه علامات البشر وقال يسرني جداً منك يافريد أن اسمع منك مثل هذه الاسئلة مما يدلني على تتبعك للحديث بكل اهتمام وتبصر واستيعاب لذا أقول لكما ولو خالف ظاهر قولي المعقول أنه رغم تغلب عامل على عامل ورغم النقص في هذا والزيادة في ذاك ورجحان كفة هذا على ذاك يبقى التوازن بين السلبي والايجابي محفوظا متساويا كما سأشرح لكما هذا غدا وتريان مما تقدم ان التحول والانقلاب هو سنة طبيعية تشمل جميع اجزاء الكون سيان في ذلك الارض والنجوم والممالك الثلاث وهي ظاهرة ايضاً في الانسان باجلى مظاهرها ان كان بجسمه أو بروحه باعماله أو افكاره لذا فهو لايطيب له العيش الا بالتحول والانتقال والتغير على قدر ما به من الحياة ولله در من قال .

يطلب الانسان في الصيف الشتا فاذا جاء الشتا انكره

ليس يرضي المرء شيء واحد قاتل الانسان ما أكفره

والان فاني استودعكما المولى وهو نعم الوكيل فالى الملتقى

ياصاحبيّ . قال هذا وهم بالابتعاد فقام اليه نجيب ووضع في يده بعض الشيء ثم حياهما وشكر وسار

— الفصل السادس —

(تأثير الكائنات بعضها على بعض وتأثير الممالك الثلاث)
(باجزائها بعضها على بعض)

بقي نجيب وفريد جالسين على مقعدهما بعد ذهاب الشيخ لأن الوقت كان مبكراً أمامهما فالغد كان أحداً وهو يوم عطلة وليس عندهما من الاعمال مايدعوهما الى الاسراع فقال فريد لنجيب أن شيخك ياصاح لهو نابغة حقيقة فقد استصغرت نفسي أمامه الى حد العدم مع أني ولا أخفي عليك ما شاهدته لأول مرة لم اسمره بقوش فصحيح أن من يحكم على الظواهر يخطيء ولكن مما يصعب علي فهمه أن هذا الرجل رغم معارفه الواسعة ورأسه المفكرة المملوءة بالحكمة يبقى هكذا هائما على وجهه ينام في العراء متوسدا الغبراء وملتحفاً السماء ليس له مكان يأوي اليه يتنقل باطماره البالية من بلد الى بلد يستجدي اكف المحسنين مع أنه وأني